

◄ المقالة

الإمام الحسن المجتبی علیہ السلام

ودوره في تأصيل العقيدة

ودفع الشبهات

الحسين، ابن سيدة الإماء يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب ذي أربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير).
وكان الناس ولا يزالون مختلفين فيهم ﷺ، فلا بدّ من أن يبين نظرتهم ﷺ في اختلاف الناس فيهم فقال ﷺ: (إنما الناس ثلاثة؛مؤمن يعرف حقنا ويأتمّ بنا ويسلّم لنا فذلك محبّ ولي الله ناج. ورجل يدين الله بالبراءة منا فينبئناّ منا ويجحد حقنا وينصب العداوة لنا ويلعن ويستحل دماءنا فهذا فاسق كافر مشرك، وإنما كفر وأشرك من حيث لا يعلم كما سبوا الله عدوا بغير علم، كذلك يشرك بالله بغير علم. ورجل لا يعرف حقنا فلا يأتمّ بنا ولكن لا يعادينا بل مع ولايتنا، أخذ بما لا يختلف فيه ورد علم ما أشكل عليه إلی الله فنحن نرجو أن يغفر الله له ويدخله الجنة، وهذا مسلم ضعيف).
وربما أراد إرشاد مثل هذا فقال للرجل: (إنك البارحة حدثت فلانا بكذا وكذا، فعجب الرجل وقال لصاحبه: إنه ليعلم ما كان؟! فقال ﷺ: إن الله تبارك وتعالى علم رسول الله فعلم رسول الله عليا علمه كله، وأمير المؤمنين ﷺ عَلمَنيه كله).

وكان هذا وأمثاله من علومه من جده بلغ عدوه معاوية فكذب به وقال: متي سمع من جده على صغر سنة؟! فبلغ ذلك الإمام ﷺ فقال له يوما: (يا معاوية إنك لتكذب بي وتقول؛ متى سمع من جده على صغر سنه؟! أما والله لوأا أنك تكفر لأخبرتك بما تعلمه؛ والله لتدعيّن زيادا ولتقتلن حجرا وليحملن إليك الرؤوس من بلد إلی بلد).

• **صلح الإمام الحسن ﷺ**

ومن أهم الشبهات يومئذ حتى اليوم في إمامته صلحه مع عدوه معاوية، وقد كثر الكلام في ذلك وتبعاً له كثر كلامه ﷺ في إزاحة تلك الشكوك والشبهات.
ومن كلامه في ذلك من قبيل التحديث بعلمه عن جدّه ﷺ قال لهم: (ألا إن أمر الله واقع إذ لا له رافع وإن كره الناس، وقد علمت ما ينفعني مما يضرنّ، وإني ما أحببت أن لي من أمر أمة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، فالحقوا ببطونكم، أي بطون عشائركم).
ومن هذا القبيل قوله ﷺ: (إنما هاندت حقنا للدماء وضنا بها وإشفاقا على نفسي وأهلي والمخلصين من أصحابي).

ولعل من هؤلاء عدي بن حاتم الطائي زعيم بني طي في الكوفة، وكان من الشاكين في ذلك فقال له: (يا عدي، إني رأيت هوي معظم الناس في الصلح وكره الحرب فلم أحب أن أحلهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحرب إلي يوم ما فإن الله كل يوم هو في شأن).

ومنهم مسيب بن نجبة الفزاري زعيم بني فزارة في الكوفة فقال له ﷺ: (يا مسيب، إني لو أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر مني عند اللقاء ولا أثبت مني عند الحرب، ولكني أردت صلاحكم وكف بعضكم عن بعض حتى يستريح برأؤ يستراح من فاجر).

وقال له ﷺ: ولو أجمع الخلق جميعا على أن لا يكون ما هو كائن من استطاعوا. الحمد لله الغالب على أمره. ومنهم من سلّم عليه بقوله: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، وهو بشير الهمداني، فقال له: (لست مذلّا للمؤمنين ولكني معزّمهم، ما أردت بمصالحتي إلّا أن أدفع عنكم القتل عندما رأيت تطأؤ أصحابي ونكولهم عن القتال).

ولعل منهم حجر بن عدي الكندي، فقال له ﷺ: (يا حجر، ليس كل إنسان رأيّه كرايكم ولا كلهم يحب ما تحبّ، وإنّي لم أفعل ما فعلت إلّا إبقاء عليكم، والله تعالى كل يوم هو في شأن).

وكان من حديثه ﷺ بعلمه عن جدّه ﷺ ما كان يخبر به أنّه ﷺ ليس هو وحده الذي يضطر لبيابح طاغية زمانه بل هذا ما يقع على كلهم أو جلّهم إلّا القائم منهم قال ﷺ: (ما منا أحد إلّا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلّا القائم الذي يصلي خلفه روح عيسي بن مريم... ذلك التاسع من ولد أخي الحسين، ابن سيدة الإماء).

ومن كلامه في ذلك قوله ﷺ: (كانت بيدي جماجم العرب، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركها ابتغاء وجه الله).

ومنهم من سأله ﷺ وأجاب به شيء من التفصيل لمعني حقن الدماء حسب استعداده وإدراكه، مثل ما روي عن أبي سعيد عقيصا قال: قلت للحسن بن علي



قال: لأن الناس قد اجتمعوا علي ولم يجتمعوا عليك! فقال له ﷺ: يابن أكلة الأكباد، إن المجتمعين عليك رجلان؛ مطيع ومكره، فالطائع لك عاص لله، والمكره معذور بكتاب الله. ولكن لا أقول أنا خير منك إذ لا خير فيك، إن الله برأئي من الرذائل كما برأك من الفضائل).
ومن كلامه للرد على المشككين في صلحه بأنّه عار عليه وعلي شيعته ما في تحف العقول عنه ﷺ قال:

(العار أهون من النار).

ومن آخر هذه الأخبار في هذا المضممار ما روي عن سالم بن أبي الجعد عن رجل من قومه دخل على الحسن بن علي ﷺ وقد دشّ إليه الطاغية سمّا وقع على كبده، فهو يخرج قطعاً مع ما يخرج من جوفه من الدم في طست بين يديه، دخل عليه قبيل ذلك وهو لا يعلم بحاله فقال له: (يابن رسول الله! أذلت رقابنا وجعلتنا معشر الشيعة عبيدا ما بقي معك رجل. فقال الإمام ﷺ: ممّ ذك؟ قال: قلت؛ بتسليمك الأمر لهذا الطاغية. فقال ﷺ: والله ما سلّمت الأمر إليه إلّا أني لم أجد أنصارا، ولو وجدت أنصارا لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكنني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم ما كان فاسدا، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل، إنهم لمخلفون، إنهم ليقولون لنا: إن قلوبهم معنا وإن سيوفهم لمشهورة علينا).

• **في مواجهة التحريفات**

ومن أهم مهام أئمة أهل البيت ﷺ قيام الإمام منهم بمهام الإمامة وقيادة الطليعة والنخبة من الأمة في مواجهة التحريفات والانحرافات وما يعتبر من الانحطاط الفكري في الإسلام عقيدة أو شريعة، أمرا بالمعروف أو نهيا عن منكر عقيدي أو عملي.

ومن أوائل ذلك في حياة الإمام الحسن بن علي ﷺ ما روي أنه دخل المسجد النبوي الشريف يوم الجمعة في أوائل عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فرآه على المنبر، ولعله قبل الخطبة فقال له: (انزل عن منبر أبي، وكان الحسان يقولان لجدهما رسول الله: يا أبيه. فلم يجد عمر بدا من ذلك دون أن قام فنزل من المنبر وهو يقول للحسن: صدقت يا بني منبر أبيك لا منبر أبي! وتوجه إليه فأخذ بيده وأخذه إلي المنبر فأجلسه إلي جنبه وخطب الناس والحسن جالس معه على المنبر).

وفي عهد عثمان لما سير أبادر الغفاري غفر الله له إلي مهاجرة في الجاهلية بلدة الربرة ونهي الناس عن توديعه، هذا، وأمير المؤمنين علي ﷺ يري ذلك خلاف الشرع وأنّ عليه أن ينكر ذلك، فخرج ومعه خواص أصحابه لتوديع أبي ذر قدس سره ومعه الحسنان، وكلّ منهم خاطبه بكلام ينكر فيه ذلك على عثمان ويسلّيه ويصبره عليه، فقال له الحسن ﷺ: (يا عمار... إن القوم قد أتوا إليك ما قد تري وإن الله بالمنظر الأعلى، فدع عنك ذكر الدنيا بذكر فراقها، ودع عنك شدة ما يرد عليك لرجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وهو عنك راضٍ إن شاء الله تعالى).

وبعد صلحه مع معاوية لما خالف بنود الصلح وثلب أمير المؤمنين ﷺ في خطبته، قام إليه وقال له: (يابن أكلة الأكباد، أو أنت تسبّ أمير المؤمنين، وقد قال

www.ofoghhawzah.com

رسول الله ﷺ فيه: من سبّ عليا فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله أدخله الله نار جهنم خالدا فيها وله عذاب مقيم؟!).

وروي منه الجاحظ أنّه ﷺ دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص فقال: (قد جاءكم كذا وكذا وسيتّه. فلما أخذ الحسن مجلسه قال لمعاوية: (يا معاوية لا يزال عندك عبد يرتع في لحوم الناس! أما والله لئن شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الأمور وتخرج منه الصدر ثم أنشأ يقول:

أتأمّر يا معاوي عبد سهم

بشمتي والملا منا شهود

إذا أخذت مجالسها قريش

فقد علمت قريش ما تريد

أأنت تظل تشتمني سفاها؟

لضغن ما يزول ولا يبيد

فهل لك من أب كأيي تسامي

به من قد تسامي أو تكيد

ولا جد كجدي يابن حرب

رسول الله! إن ذكر الجدود

ولا أم كأمي من قريش

إذا ما بين الحسب التليد

فما مثلي بهكم يابن حرب

ولا مثلي يهنهه الوعيد

فمهلاً لا تهج منأأمورا

يشيب لهولها الطفل الوليد)

ومن البدع التي ابتدعتها مدرسة الخلفاء لما أوصدت وسدت باب مدينة علم رسول الله ﷺ أن عمدت إلي الثّقاص فأذنت وسمحت وفسحت لهم المجال في المساجد والجوامع حتى في المسجدين الشريفين أن يقصوا على الناس ما يهون كبديل كاذب عن الحديث الإسلامي الأصل، ولا ريب أنّ الإمام الحسن ﷺ يري ذلك منكرا من القول وزورا، فروي اليعقوبي أنّه ﷺ: (مرّ يوما وقاص يقص على باب مسجد رسول الله فأنكر عليه وقال له: ما أنت؟ فقال: يابن رسول الله أنا قاص. فقال عليه السلام كذبت، بل القاص محمد ﷺ إذ قال له الله: (فاقص القصص) فقال: فانا مذكر. قال: كذبت بل المذكر محمد ﷺ إذ قال له الله: (فذكر إنما أنت مذكر) فقال الرجل: إذن فما أنا؟ قال: أنت من المتكلفين).

وبإزاء ذلك ذكر الشؤون الإسلامية للمساجد في حديث عنه في تحف العقول قال ﷺ: (من أدام الاختلاف إلي المساجد صاحب إحدي ثمان: آية محكمة أو علما مستطرفا أو كلمة تدله على الهدى أو تركه عن ردي أو أcha مستعدا أو رحمة منتظرة أو ترك الذنوب خشية أو حياء)!

ولم تكن مدرسة الخلفاء تعني بدفع أو رفع آثار الجاهلية ومصطلحاتها بآثار الإسلام ومصطلحاته وتحياته فمن ذلك: أن كان العرب في الجاهلية يجهلون أو يتجاهلون ما للمرأة من مكانة على صعيد الإنسانية بل يحاكمون بيرونها حيوانا خلقت لخدمة الذكور، وأن القيمة كل القيمة للولد الذكر، فإذا ولد هنئا أباه يتفألون بفروسيته لأبيه ويقولون له: ليهنك الفارس! فلم تكن مدرسة الخلفاء تغير عليهم مثل ذلك إن لم تكن تساعد عليه، حتى أن بعضهم من قريش بلغهم أن الحسن ﷺ قد ولد له مولود فدخلوا عليه وقالوا له: يهنك الفارس. فقال لهم ﷺ: (ما هذا من كلام؟! بل قولوا: شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب، وبلغ الله به أشده وزرقك بزه).

ومن أنكر منكرات مدرسة الخلفاء خلافهم على رسول الله ﷺ أمره وحته وتشويقه وترغيبه في طلب العلم والفقه والحديث وبثّه ونشره وتعليمه وكتابته، فمنعوا من ذلك وشدّدوا فيه وضيّقوا على أهله أشدّ تضيق، بل لم يكتفوا بذلك حتى افتروا عليه أحداث

في النهي عن كتابة حديثه وتدوينه، والحسن ﷺ يري ذلك أيضا منكرا من القول وزورا، فروي الحز العاملي في الفصول المهمة في أصول الأئمة عنه ﷺ كان يقول لبنبيه: اتعلموا العلم فإنكم صغار القوم اليوم وكبارهم غدا، ومن لم يحفظ منكم فليكتب).

ومن المبادئ الدينية الإسلامية السامية صيام شهر رمضان المبارك للتبرك ببركاته، ولم يشرع عيد الفطر للهو واللعب، ومزّهو ﷺ فيه يقوم بلعبون ويضحكون فوفق عليهم وقال لهم: (إنّ الله تعالى جعل شهر رمضان مضمارا لحلقه يستبقون فيه بطاعته إلي مرضاته، فسبق أقوام فقاؤوا وتخلّف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لعلموا أن المحسن مشغول بإحسانه والمسيء مشغول بإساءته).

وفي نهاية تطوافنا في المجتبى من أحاديث المجتبى ﷺ في تأصيل العقيدة الإسلامية وترسيخ مبادئه السامية ومواجهته للشبهات والانحطاط الفكري نقف وإياكم على حديث عنه ﷺ رواه المرحوم المحدث المجلسي في كتابه (جلاء العيون) الذي ترجمه إلى العربية المرحوم السيد عبد الله شير، كما ذكر ذلك في مقدمته للكتاب، حديث يفيد ترسيخ العقيدة بإمامته أو ولايته لله وإرتباطه به وعلاقته على مستوي سرعة استجابة دعائه، قال:

(استغاث الناس إلي الحسن ﷺ من كثرة مظالم زياد بن عبيد الثقفي وشدّتها وبطشه وقسوته فرفع يديه ودعا والله خذ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه وأرأنا فيه نكالا عاجلا إنك على كل شيء قدير، فخرج خراج في إبهام يده اليمنى وتوزّع حتى عنقه فمات منها).

والحمد لله رب العالمين.